الفصل الثالث

علاقة المسلمين مع الوثنيات الشرقية
(الهندوسية والبوذية)

في كتابنا الموسوعي (فقه الجهاد) تحدثنا في فصل كامل عن علاقة المسلمين مع الوثنيات الشرقية ، وقد رأينا من الخير والمصلحة : أن نضيفه هنا في هذا الكتاب ـ والحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها ـ ليكمل الصورة المثلى ، التي يقدمها الإسلام لغير المسلمين ، وإن كانوا يعبدون الأوثان .

تحدَّثنا عن علاقة الإسلام بأهل الكتاب من اليهود والنصارى في الفصلين الماضيين ، من التفاهم والتعاون في المجالات المشتركة ، التي تهمُّ أصحاب الديانات الكتابية أو السماوية . وهو ما يعبِّر عنه القرآن بـ(التعاون على البرِّ والتقوى) . كما في قوله تعالى : ﴿ **وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟ ۘ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ** ﴾ (المائدة: ٢) .

موقف الإسلام من الديانات الوثنية :

وبقي علينا أن نُبيِّن : ما موقف الإسلام من (الديانات الوثنية) التي لا تدخل في مفهوم (أهل الكتاب) مثل الوثنيات الشرقية الكبرى ، التي يتبعها مئات الملايين ، وربما آلاف الملايين : مثل الهندوسية في بلاد الهند ، والبوذية في الصين وسريلانكا وكوريا وغيرها : هل يسالمها الإسلام ويبسط إليها يديه مصالحا ، أو يعاديها ويعلن الحرب عليها ، ولا يسمح لها بالبقاء ؛ لأنها تعبد مع الله ـ أو من دون الله ـ أصناما لا تبصر ولا تسمع ، ولا تضرُّ ولا تنفع ؟

دعوة الإسلام إلى السلم دعوة عالمية :

والذي أقرِّره ابتداء : أن دعوة الإسلام إلى السلم دعوة عالمية عامة ، تشمل الوثنيين على اختلاف مِللهم ونِحلهم ، كما شملت أهل الكتاب .

وأساس ذلك من مصادر الإسلام وتعاليمه :

١- أن الله تعالى أرسل نبيه محمدًا رحمة للعالمين ، وليس رحمة لأهل الكتاب دون غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى ، فلا بد أن تشملهم هذه الرحمة العامة ، كما شملت غيرهم ، قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾(الأنبياء:١٠٧).

دستور العلاقة مع غير المسلمين :

٢- أن النصوص القرآنية والنبوية التي وضعت أُسس العَلاقات بين المسلمين وغيرهم جاءت عامة ، لم تخصَّص بأهل الكتاب ، بل الأصل فيها : أنها ـ غالبا ـ جاءت في شأن المشركين من العرب الذين كانوا يعبدون الأصنام . كما يبدو ذلك واضحا في الآيتين الكريمتين اللتين وضعتا ما سمَّيناه في كتابنا (الحلال والحرام في الإسلام) : دستور العَلاقة مع غير المسلمين ، وأعني بهما قوله تعالى في سورة الممتحنة : ﴿ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ۝٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الممتحنة:٨،٩)، فهاتان الآيتان نزلتا في شأن المشركين من قريش ومَن والاهم ، الذي عادوا الرسول والمؤمنين ، وأخرجوهم من ديارهم ، كما بيَّن ذلك أول السورة ، حيث قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ ﴾(الممتحنة:١).

وفي هذا السياق جاءت الآيتان المذكورتان في شأن هؤلاء المشركين . وقد صحَّ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ، أنها جاءت إلى النبي ﷺ ، تسأله عن

أمها التي قدمت عليها من مكة بعد صلح الحديبية ، وهي مشركة : أَتَصِلُها ؟ فقال ﷺ : « نعم ، صليها »[1] . وفيها وفي أمثالها نزلت الآية : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾ .

تصنيف غير المسلمين إلى قسمين :

ومن هنا نرى أن القرآن الكريم صنَّف غير المسلمين ـ وإن كانوا وثنيين ـ إلى قسمين :

١- مسالمين للمسلمين ، لم يقاتلوهم في الدين ، ولم يخرجوهم من ديارهم .

٢- وغير مسالمين ، بل قاتلوهم في الدين وأخرجوهم من ديارهم ، وظاهروا ـ أي عاونوا ـ على إخراجهم .

فالأوَّلون لهم حكمهم ، وهو البرُّ لهم والإقساط إليهم ، كما قال تعالى : ﴿ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ﴾ ، والبرُّ هو الإحسان وبذل المعروف للآخرين ، والإقساط هو العدل . وقد اختار القرآن كلمة : ﴿ تَبَرُّوهُمْ ﴾ ؛ لأن البرَّ يعبَّر به في الإسلام عن أقدس الحقوق بعد حقِّ الله تعالى ، وهو برُّ الوالدين .

وإنما جاء تقرير هذا المبدأ بصيغة : ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ ﴾ ؛ لأن بعض الناس قد يتصوَّر أن الدين لا يقبل أن تعامل بالحسنى مَن يخالفك في الدين ، فأراد النصُّ القرآني أن ينفي هذا الوهم من أذهان الناس ، وأن هذا ليس موضع نهي .

وأما الصنف الآخر ـ الذين قاتلوا المسلمين في الدين وأخرجوهم من ديارهم . . . إلخ ـ فهم الذين نهى الله تعالى عن الولاء لهم ، إذ كيف يوالي المرء عدوَّه وعدوَّ دينه وعدوَّ أمته ، ولذا قال : ﴿ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴾ .

كيف يتحدد موقف الإسلام ؟

وموقف الإسلام من هؤلاء الوثنيين من الهندوس أو البوذيين ، هو نفس موقفه من غيرهم في أنحاء العالم . وهذا الموقف يتمثَّل فيما يلي :

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري في الأدب (٥٩٧٩) ، ومسلم في الزكاة (١٠٠٣) ، كما رواه أحمد في المسند (٢٦٩١٣) ، وأبو داود في الزكاة (١٦٦٨) ، عن أسماء بنت أبي بكر .

أولا : دعوة الجميع إلى الإسلام

دعوة الجميع إلى الإسلام ؛ لأن المسلمين مطالبون أن يدعو العالم كلَّه ـ شرقيَّه وغربيَّه ، عجميَّه وعربيَّه ـ إلى دينهم ، بوصفه (رحمة الله للعالمين) ، وباعتباره الدين الخاتم الذي يحمل كلمات الله الأخيرة لهداية البشر بوحي السماء ، ولهذا يَعتبِر المسلمون جميعَ الأمم من (أمة الدعوة) . وعلى المسلمين أن يبلِّغوا دعوة الله إليهم ، إذ لا يجوز لهم أن يحتكروا نور الله الذي جاء به نبيُّهم لأنفسهم ، ويحرموا منه سائر البشر .

وهذا يشترك فيه أهل الكتاب والوثنيون جميعا ، وإذا كان القرآن وجَّه إلى أهل الكتاب ـ التوراة والإنجيل ـ هذا النداء : ﴿ **قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ** ﴾ (آل عمران:٦٤) ، مع أن أهل الكتاب ـ وإن حرَّفوا وبدَّلوا ـ عندهم بقية من وحي السماء ، ومن هداية النبوَّة ، فإن أهل الديانات الوثنية أولى أن يوجَّه إليهم هذا النداء ، وأن يُدْعوا إلى التحرُّر من الشرك إلى التوحيد ، وأن يتلقوا من مشكاة النبوة ما ينير لهم الطريق إلى تقوى الله تعالى ، وإلى تزكية الأنفس ، وإلى إقامة القسط في الأرض ، فإن إقامة هذا القسط هدف للرسالات السماوية كلِّها ، كما قال القرآن : ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ** ﴾ (الحديد:٢٥) .

ومن مستلزمات هذه الدعوة : أن نخاطب الناس بلسانهم لنبيِّن لهم ، وهذا يقتضي أن نترجم لهم معاني القرآن ، وأن نوصل إليهم حقائق الإسلام ، بالحكمة التي تقنع العقول ، وبالموعظة الحسنة التي تؤثِّر في القلوب ، وبأرقِّ العبارات ، وأجمل الأساليب ، حتى نحبِّب إليهم ديننا .

ويمكن أن نستخدم في ذلك الكلمة المكتوبة ، والكلمة المسموعة ، والصورة المرئية ، مستفيدين من تقنيات عصرنا المتطوِّرة ، من الإذاعات الموجَّهة للعالم ، ومن القنوات الفضائية ، ومن شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) ، ومن إنشاء المراكز الدعوية ، وإرسال الدعاة الثقات المدرَّبين على حسن خطاب الناس . فهذا

من أفضل ما يُتقرَّب به إلى الله : ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ (فصلت:٣٣).

ثانيًا : من استجاب للدعوة فهو من المسلمين

مَن استجاب لهذه الدعوة اقتناعا بها ، واختيارا حرًّا لها ، رحَّبنا به نحن المسلمين ، واعتبرناه أخا لنا ، وإن كان عرقه غير عرقنا ، ولونه غير لوننا ، ولسانه غير لساننا ، ووطنه غير وطننا ، لأن الإسلام يذيب هذه الفوارق كلَّها ، ويعتبر البشرية كلَّها ـ كما قلنا غير مرَّة ـ أسرة واحدة ، خالقها واحد ، وهو الله ربُّ السماوات والأرض ، خالق كلِّ شيء ، وأبوها واحد ، وهو آدم أبو البشر . كما قال القرآن : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ (الحجرات:١٣).

ولا يجوز لمسلم ـ فردا كان أو جماعة ـ أن يُكره إنسانا على الدخول في الإسلام بحال من الأحوال ؛ لأن الإسلام المقبول عند الله ، المعتبَر عند المسلمين هو ما كان بإرادة حرَّة مستقلَّة ، لا شوب فيه لضغط أو إكراه من قريب أو بعيد . كما قال تعالى : ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ﴾ (البقرة:٢٥٦).

وهذه الآية المدنية تأكيد لما جاء في القرآن المكيِّ من مثل قوله تعالى لرسوله : ﴿ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس:٩٩) .

كما ذكر القرآن أيضا رفض إيمان قوم نزل بهم عذاب الله ، فأعلنوا إيمانهم في تلك الحالة ، وهي حالة مَن لا توجد لديه بدائل ، ولا إرادة له : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴾ (غافر:٨٤) .

ولم يعرف التاريخ الإسلامي على امتداده : أن شعبا أو قبيلة ، أو أهل قرية ، أو أي مجموعة من المجموعات ، كبرت أو صغرت ، أُكرهت على الدخول في الإسلام ، بالتعذيب ، أو الضغط ، أو التضييق ، أو أي نوع من أنواع الإكراه .

حتى طائفة (المنبوذين) في الهند ، لم يمارس المسلمون عليهم أيَّ نوع من الضغط .

وقد حَكَمَ المسلمون بلاد الهندوس والبوذيين عدَّة قرون ، كانوا هم أصحاب القوَّة والسيادة ، فلم يُكرهوا الناس على الدخول في دينهم . وقد دخل الكثيرون منهم في دين الله طائعين مختارين . وهم الذين يُكوِّنون الآن دول باكستان وبنجلاديش والأقلية الكبري في الهند ، ودولة أفغانستان وغيرها . وعاشوا مع جيرانهم الوثنيين في أمن وسلام ، وحسن جوار .

ثالثا : من لم يستجب لدعوة الإسلام وسالم المسلمين فلا سلطان لأحد عليه :

مَن لم يستجب لدعوة الإسلام ، ولكنه كفَّ أذاه عن المسلمين ، ولم يتعرَّض لهم بسوء في أنفسهم أو أموالهم ، أو أعراضهم وحرماتهم ، ولم يفتنهم عن دينهم ، أو يخرجهم من ديارهم ، أو يشارك في ذلك ، بل أعلن مسالمته للمسلمين ، ومدَّ يده إليهم بالمصافحة والمعاونة ، فهذا يسالمه المسلمون ، ويمدُّون له أيديهم مصافحين ، ويقابلون تحيته بأحسن منها ، أو بمثلها ، ولا يشهرون في وجهه سيفا ، ولا يرمون نحوه سهما ، ولا يسوؤونه بكلمة تؤذيه أو تجرح مشاعره . بل عليه أن يختار من الكلمات في خطاب الناس أحسنها وألطفها ، ولا يكتفي بمجرَّد أن تكون حسنة جميلة ، يقول تعالى : ﴿ **وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا** ﴾(الإسراء:٥٣) .

وتعاليم القرآن الكريم ـ كما بيَّناها في الأبواب السابقة ـ واضحة كلَّ الوضوح في مسالمة المسالمين من المشركين وغيرهم ، كما تدلُّ على ذلك آيات كتاب الله ، مثل قوله تعالى عن المشركين : ﴿ **فَإِنِ ٱعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا۟ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَمَ فَمَا جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا** ﴾ (النساء:٩٠) ، والنصُّ بيِّن لا يفتقر إلى تفسير ولا تعقيب .

ومثل قوله سبحانه : ﴿ **وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ** ﴾(البقرة: ١٩٠-١٩٣).

فهذه الآيات أوجبت قتال الذين يقاتلون المسلمين لا الذين يسالمونهم ، ونهت عن الاعتداء ، الذي لا يحبُّه الله ، ولا يحبُّ أهله ، ومنه قتال مَن ليس من أهل القتال كالنساء والأطفال ، وحذَّرت من الفتنة ، وهي اضطهاد المؤمنين بالدين حتى يفرُّوا من دينهم . واعتبرت الفتنة أشد من القتل ؛ لأن القتل ـ كما بيَّنا من قبل ـ اعتداء على الكِيان المادي للإنسان ، والفتنة اعتداء على الكِيان الرُّوحي والمعنوي للإنسان ، وحقيقة الإنسان هي الكِيان الروحي .

ومما شرحناه فيما سبق ، وأقمنا عليه الأدلَّة من نصوص الشرع ومقاصده : أن الكفر وحده ليس عِلَّة للقتال ، وإلا ما نهى الشرع عن قتل النساء والشيوخ الكبار ، والعُمْيان والزَّمْنَى (المُقعَدين) والرهبان والحرَّاث في أرضهم ، وأمثالهم ، إنما يقاتل الكفار لعدوانهم على المسلمين في أنفسهم أو أهليهم أو دينهم أو حرماتهم .

رابعا : من قاتل المسلمين قاتلوه

ومَن أبى إلا أن يواجه الدعوة إلى الإسلام ، ويؤلِّب عليها ، ويحارب المسلمين بكلِّ ما يستطيع من قوَّة ، بإيذاء المستضعفين حينا ، وبالصدام المسلَّح حينا ، وبالتحالف مع أعداء الإسلام حينا ، فهنا يجب على الإسلام أن يدافع عن نفسه بكلِّ ما يملك ، ولو بالقتال ، وهذا هو الذي جاء فيه قوله عزَّ وجلَّ : ﴿ **كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ** ﴾ (البقرة:٢١٦) ، وقوله سبحانه : ﴿ **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ** ﴾ (الحج:٣٩، ٤٠).

وهذا يستوي فيه أن يكون هؤلاء الذين قاتلوا المسلمين وأخرجوهم من ديارهم ، من اليهود أو النصارى أو المجوس ، أو الوثنيين من العرب أو غير العرب كالهندوس والبوذيين ، أو غيرهم من أهل المِلل والنِحَل ، فالمسلمون لا يقاتلونهم لعِرقهم ولا للونهم ولا للغتهم ولا لدينهم ، وإنما يقاتلونهم لعدوانهم عليهم بصورة أو بأخرى . ولو كفُّوا أيديهم عن المسلمين ، لكفَّ المسلمون أيديهم عنهم ، ولم يخوضوا معهم معركة أصلا ، فقد نهاهم نبيُّهم : أن يتمنَّوا لقاء العدو ، وأمرهم أن يسألوا الله العافية[1] .

---

(١) متفق عليه : رواه البخاري (٢٩٦٦) ، ومسلم (١٧٤٢) ، كلاهما في الجهاد ، عن عبد الله ابن أبي أوفى .

والإسلام يرحِّب بكلِّ معركة تنتهي بغير قتال ودماء ، كما قال القرآن تعقيبا على غزوة الأحزاب : ﴿ وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ﴾(الأحزاب:٢٥) .

ولو قامت المعركة ودارت رحاها بالفعل ، وتلاقى الرجال من الفريقين وجها لوجه ، وهلكت نفوس ، وطاحت رؤوس ، ثم رأى القوم أن الخير في الصلح فدَعَوا المسلمين إليه ، فهنا يجب على المسلمين أن يستجيبوا لهذه الدعوة ، ويغمدوا سيوفهم ، ويكفُّوا عن سفك الدماء ، تجاوبا مع الدعوة إلى السلام والأمان . قال تعالى : ﴿ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(الأنفال:٦١،٦٢) .

ومن هنا رحَّب الرسول الكريم بصلح الحديبية ، على ما كان فيه من شروط ، اعتبرها بعض المسلمين إجحافا لهم ، ونزلت فيه سورة الفتح : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾(الفتح:١).

هل تقبل الجزية من الهندوس والبوذيين ؟

ذهب بعض الفقهاء إلى أن الجزية لا تُقبَل إلا من أهل الكتاب ـ ويعنون بهم : اليهود والنصارى ـ ومَن أُلحق بهم وضُمَّ إليهم ، وهم المجوس ، الذين يعبدون (النار) ويقولون بإلهين اثنين : إله للخير والنور ، وإله الشرِّ والظلمة .

وأساس قولهم : ما جاء في القرآن في آية (الجزية) من سورة التوبة : ﴿ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾(التوبة:٢٩) .

فالآية حدَّدت هؤلاء الموصوفين بما وُصفوا به بأنهم ﴿ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ﴾ ، ثم جاءت السنة الصحيحة ، فأضافت إليهم أو ألحقت بهم : (المجوس) الذين قال النبي ﷺ فيهم : « سُنُّوا بهم سنَّة أهل الكتاب »[1] .

---

(١) رواه مالك في الزكاة (٦١٦) رواية يحيى الليثي ، والشافعي في الجهاد (٤٣٠) ، ترتيب السندي ، والبيهقي في الجزية (١٨٩/٩) ، قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢٦١/٦): منقطع مع ثقة رجاله .

فمن الفقهاء مَن اقتصر في قَبول الجزية من المقاتلين على هذين الصنفين :

الأول : الكتابيون من اليهود والنصارى ، الذين نصَّ عليهم القرآن .

والثاني : المجوس ، الذين ثبت ضمُّهم إليهم بالسنة .

ولم يقبل هؤلاء الفقهاء الجزية من مشركي العرب ، ولا من مشركي العجم .

وأيَّد بعض هؤلاء الفقهاء دعواه بأن الرسول الكريم لم يأخذ جزية من العرب في عهده ، لأن العرب لا يُقبَل منهم إلا الإسلام أو السيف .

وردَّ الإمامان ابن تيمية وابن القيم على هؤلاء بأن العرب كغيرهم من البشر ، تُقبل منهم الجزية كما تُقبل من غيرهم . وإذا أخذها الرسول من المجوس وهم مشركون يعبدون النار ، فلماذا لا يأخذها من مشركي العرب؟

وقد بيَّن ابن تيمية في رسالته (قاعدة في قتال الكفار) : أن مشركي العرب خير من مشركي المجوس من عدَّة نواح فصَّلها ، منها : أنهم كانوا يقرُّون بأن الله وحده خالق السماوات والأرض:﴿ **وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ** ﴾ (لقمان:٢٥) ، ﴿ **قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ** ﴾ (يونس:٣١) .

ومنها : أنهم كانوا على بقايا مِلَّة إبراهيم . . . إلخ .

ومنها : أنهم لم يكونوا يتزوَّجون من محارمهم كالمجوس ، ولا يأكلون الميتة كالمجوس . . . إلخ .

وإنما لم يأخذ النبي ﷺ الجزية من مشركي العرب ؛ لأن آية الجزية نزلت متأخِّرة ، في أواخر حياة النبي ﷺ ، أي في السنة العاشرة من الهجرة ، بعد أن كان العرب دخلوا كلُّهم في الإسلام طواعية[1] .

---

(١) انظر: قاعدة في قتال الكفار لابن تيمية صـ ١٦٠- ١٨٣ .

مناداتي في مؤتمر حوار الأديان في مكة بالتركيز على الحوار مع الوثنيات الشرقية :

ولقد ناديتُ بقوَّة في مؤتمر (حوار الأديان) الكبير ، الذي عُقد في مكة المكرمة برعاية خادم الحرمين الملك عبد الله بن عبد العزيز : أن يكون تركيزنا في المرحلة القادمة على الحوار مع الأديان الكبرى في بلاد الشرق ، مثل : الهندوسية والبوذية . فهم ليس لهم أطماع في بلادنا ، كما عند الغربيين من يهود ونصارى ، كما أننا وإياهم تضمُّنا الرابطة الشرقية .

وهذا ما جعلهم في مؤتمر مدريد ؛ يدعون ممثِّلين لهذه الأديان .

مؤتمر الاتحاد العالمي مع ممثلي الأديان الشرقية في الهند :

ولكنا في (الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين) مشينا خطوة عملية أعمق وأقوى ممَّا حدث في مؤتمر مدريد ، وهو ما دعت إليه لجنة القضايا والأقليات في الاتحاد ، من جمع ممثلين عن الأديان التي تعيش في الهند وما جاورها من الأقطار ، وأن يلتقوا مع ممثلين من المسلمين في هذه البلدان ، وذلك في العاصمة الهندية (نيو دلهي) .

بتاريخ ٢٠ ، ٢١ فبراير ٢٠١٠م ، وكان لقاء على مستوى رفيع ، وتصارح الجميع فيما بينهم ، وخرجوا بقرارات وتوصيات تعد غاية في الأهمية ؛ في التقريب والتفاعل ، وإزالة كل الحواجز ، وشعر الجميع بأهمية التلاقي والتفاهم ، وضرورة تكرار هذا اللقاء بين الحين والآخر[1] .[2]

إن التسامح الديني والفكري له درجات ومراتب .

* * *

---

(١) مثل الاتحاد في هذا الملتقي العام الأخ الدكتور على القردة داغي رئيس لجنة القضايا والأقليات في الاتحاد ، والدكتور إبراهيم النعيمي رئيس مركز حوار الأديان بالدوحة ، والشيخ مصطفي الصيرفي ، وغيرهم من أعضاء اللجنة .

(٢) انظر: كتابنا فقه الجهاد (٢/١٢٧٣- ١٢٨٣) .